كلمة العدد

أ.د. محمد علي هارب جبرن

مسؤولية الكلمة، وأمانة البحث

في خضم تسارع وتيرة الإنتاج المعرفي وتعدد وسائط النشر، تقف الكلمة المكتوبة، وبخاصة في سياقها البحثي والأكاديمي، على محكٍّ تاريخي غير مسبوق، فلم تعد القضية مجرد نقل للمعلومات أو عرض للنتائج، بل أصبحت تتمحور حول (مسؤولية الكلمة، وأمانة البحث)؛ وهما مفهومان متجذران في تراثنا الفكري والإنساني، ويمثلان اليوم حجر الزاوية في بناء صرح علمي موثوق ومجتمع معرفي ناضج، وإننا في أسرة تحرير "مجلة جامعة المهرة للعلوم الإنسانية"، ونحن نحتفي بالإنجاز المتمثل في حصول المجلة على معامل التأثير العربي والدخول في الفئة المتوسطة (Q3)، نجدها فرصة سانحة لنقف وقفات للتأمل العميق في المبادئ التي نعتبرها أساسًا لكل ما نقدمه، والبوصلة التي توجه مسيرتنا.

أولاً: الكلمة بوصفها عقدًا اجتماعيًا وأخلاقيًا

ليست الكلمة مجرد أداة للتعبير، بل هي فعلٌ ذو أثر في البحث العلمي، تتجسد هذه الحقيقة بأوضح صورها في كل مصطلح يُصاغ، وكل فرضية تُطرح، وكل نتيجة تُستخلص، وكل استشهاد يُدرج، فهي بمثابة توقيع على عقد غير مكتوب بين الباحث والمجتمع، وهذا العقد يقتضي الصدق والدقة والموضوعية، وعندما يقرأ طالب علم أو صانع سياسات أو باحث آخر ورقة علمية، فإنه يفترض مسبقًا أن كاتبها قد تحرى الأمانة في كل خطوة من خطوات عمله، وهذا الافتراض هو "رأس المال الاجتماعي" للعلم؛ وإذا اهتز، اهتزت الثقة في المنظومة المعرفية بأكملها، إن مسؤولية الكلمة تعني إدراك الباحث أن كتاباته ستُبنى عليها قرارات، وستُشكَّل بها قناعات، وستُوجَّه بها سياسات، وقد يؤدي بحث مغلوط في العلوم الاجتماعية إلى تطبيق سياسات عامة تضر بشرائح واسعة من المجتمع، وقد يقود بحث تاريخي منحاز إلى تأجيج صراعات وتشويه هويات، وقد يتسبب بحث تربوي سطحي في تبني مناهج تعليمية

فاشلة تهدر طاقات أجيال بأكملها، ومن هنا، فالكلمة ليست حروفا على ورق، بل تصبح قوة فاعلة، إما للبناء أو للهدم.

ثانياً: أمانة البحث أبعاد تتجاوز الاقتباس

عندما يُذكر مصطلح "الأمانة العلمية"، فغالبًا يتبادر إلى الذهن تجنب السرقة الأدبية، ورغم أهمية هذا الجانب، إلا أنه ليس سوى قمة جبل الجليد، إن أمانة البحث منظومة متكاملة من الممارسات الأخلاقية التي تبدأ من الفكرة، وتنتهي عند النشر وما بعده، ويمكن تفصيل أبعادها على النحو الآتي:

1. **أمانة الفكرة والتصميم:** تبدأ الأمانة من أصالة فكرة البحث نفسها. هل هي نابعة من فضول علمي حقيقي ورغبة في سد فجوة معرفية، أم هي مجرد وسيلة للحصول على ترقية أو درجة علمية بأقصر الطرق؟ تتجلى الأمانة هنا في تصميم منهجية بحثية صارمة وقادرة بالفعل على الإجابة عن أسئلة البحث، لا تصميم منهجية "مُفصَّلة" لتأكيد نتائج مرغوبة مسبقًا.
2. **أمانة جمع البيانات:** سواء أكانت البيانات نصوصًا تاريخية، أو استجابات استبيان، أو ملاحظات ميدانية، فإن الأمانة تقتضي جمعها دون تحيز أو انتقائية؛ فإغفال بيانات لا تتوافق مع فرضية الباحث، أو التأثير على المشاركين في الدراسة للحصول على إجابات معينة، هو خيانة جوهرية لروح البحث العلمي.
3. **أمانة التحليل والتفسير:** هذا هو الميدان الذي يظهر فيه نضج الباحث وفق أخلاقيات البحث العلمي، فقد تكشف البيانات عن نتائج غير متوقعة أو حتى مخيبة للآمال، والأمانة هنا تفرض على الباحث عرض النتائج كما هي، بكل صدق، ومحاولة تفسيرها بموضوعية، حتى لو كانت تتعارض مع قناعاته الشخصية أو فرضياته الأولية، فتزيين النتائج أو تلفيقها أو تزويرها هي جرائم علمية تقوض مصداقية الباحث والمؤسسة التي ينتمي إليها.
4. **أمانة الإسناد والاعتراف بالفضل:** هنا يأتي دور الاقتباس الدقيق وتوثيق المصادر، إذ إن الأمانة لا تعني فقط تجنب النسخ واللصق، بل تعني أيضًا الاعتراف الصريح بكل فكرة أو

معلومة أو منهجية استقاها الباحث من أعمال الآخرين، وإن البحث العلمي عمل تراكمي، وكل باحث يقف على أكتاف من سبقوه، وتجاهل هذا المبدأ ليس مجرد سرقة، بل هو إنكار لطبيعة العلم نفسه.

5. أمانة النشر: تقتضي الأمانة أن ينشر الباحث عمله في وعاء علمي رصين يضمن مراجعته وتحكيمه بشكل نزيه، كما تقتضي تجنب الممارسات المنافية لأخلاقيات البحث العلمي مثل "النشر المكرر" أو "النشر المجزأ" حيث تقسم دراسة واحدة إلى عدة أوراق بحثية صغيرة لزيادة عدد المنشورات بشكل مصطنع.

ثالثاً: التحديات المعاصرة لمسؤولية الكلمة وأمانة البحث

في عصرنا الرقمي، تواجه هذه المبادئ تحديات جديدة ومعقدة "فاقتصاد الانتباه" يضغط على الباحثين والمجلات لتبني عناوين مثيرة ومبالغ فيها، وسهولة الوصول إلى المعلومات عبر الإنترنت جعلت من السرقة الأدبية أمرًا يسيرًا لمن ضعفت ذمته، كما أن الضغوط المؤسسية للنشر الكمي "انشر أو اندثر" قد تدفع البعض إلى التضحية بالجودة والكيف من أجل الكم.

علاوة على ذلك، أدى انتشار الذكاء الاصطناعي التوليدي إلى طرح أسئلة جديدة حول أصالة الفكر وحدود الاستعانة بالآلة في إنتاج المحتوى البحثي، وإن استخدام هذه الأدوات للمساعدة في البحث أو الصياغة قد يكون مفيدًا، ولكن الاعتماد عليها في توليد الأفكار أو التحليلات أو النصوص الأساسية يمثل منطقة رمادية خطيرة قد تمس جوهر الأمانة الفكرية.

رابعاً: الأمانة في ضوء الهدي الإسلامي

لقد جاء الإسلام ليجعل من الكلمة عبادة، ومن الأمانة فريضة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (اللنساء:58)، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾

(الإسراء:36)، وقال النبي ﷺ: «من غش فليس مني»[1]، فالباحث المسلم لا يكتب إلا بعلم، ولا ينقل إلا بتحقق، ولا ينسب إلا بحق، ومن خالف ذلك فقد غشّ العلم وأهله.

وإذا تأملنا في منهج العلماء الأوائل وجدنا دقة عجيبة في التوثيق والرواية، حتى قال أحدهم: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم[2]، وهذا هو عمق أمانة الكلمة في الفكر الإسلامي.

خامسًا: دور الجامعة في ترسيخ قيم الأمانة

ليست الجامعة فقط مؤسسةً تعليمية، بل هي بيئةٌ أخلاقيةٌ ومعرفيةٌ تُنشئ أجيالاً على قيم النزاهة والمسؤولية، فعلى الجامعات أن تغرس في طلابها منذ المراحل الأولى مبادئ: احترام الحقيقة، والأمانة في البحث، والموضوعية في التحليل، والاعتراف بالفضل لأصحابه، كما ينبغي أن تكون هناك سياسات واضحة لحماية الملكية الفكرية، وإجراءات رادعة لكل من يخالف النزاهة الأكاديمية، مع إبراز النماذج المضيئة للباحثين الأمناء الذين يرفعون راية الجامعة بالصدق والعلم.

سادسًا: نحو ثقافة مؤسسية للأمانة والمسؤولية

الأمانة ليست واجباً فردياً فحسب، بل ثقافة مؤسسية يجب أن تسري في كل مكونات الجامعة، فحين تصبح النزاهة سلوكاً عاماً، يسود الإخلاص في الأقسام، والدقة في المراكز البحثية، والثقة في نتائج الجامعة، وتتحول الأمانة إلى ثقافة عملية تبدأ من القاعة الدراسية، ومن تشجيع الطلاب على التفكير النقدي، وتقدير الجهد الذاتي، واحترام حقوق الباحثين الآخرين.

سابعًا: الأمانة على أكمل وجه

إن الكلمة أمانة، والبحث مسؤولية، والعلم عبادة، ومن جمع بين صدق الكلمة ونزاهة البحث، فقد أدى الأمانة على أكمل وجه، وساهم في بناء نهضةٍ علميةٍ راشدة، وما أحوجنا اليوم إلى

([1]) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من غش فليس منا» رقم(102)(99/1).

([2]) البصري، محمد بن سعد بن منيع (ت:230هـ) الطبقات الكبرى (194/7)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

أن نُعيد الاعتبار لهذه القيم في جامعاتنا ومجلاتنا ومراكزنا البحثية، لتكون منارةً تُضيء درب الباحثين بالأخلاق قبل العلم، وبالصدق قبل الشهرة، وبالأمانة قبل التميز، ولْنحمل أقلامنا بصدقٍ، ولنكتب بعقولٍ متبصرةٍ وقلوبٍ مخلصةٍ، ولْنجعل من أبحاثنا جسوراً نحو الحقيقة، لا أدواتٍ للزهو أو التقليد، فمن صان الكلمة رفعه الله، ومن خانها سقط ولو علا اسمه.

ختاما:

إن حصول مجلتنا على هذا التصنيف المتقدم ليس نهاية المطاف، بل هو تكليف قبل أن يكون تشريفًا، إنه يضع على عاتقنا مسؤولية أكبر في أن نكون حراسًا أمناء على بوابة الكلمة العلمية، ويدعونا؛ أسرة تحرير وباحثين وقراء، إلى تجديد ميثاق الشرف الذي يحكم عملنا.

ندعو زملاءنا الباحثين إلى أن يتذكروا دائمًا أن كل كلمة يخطونها هي شهادة سيحاسبون عليها علميًا وأخلاقيًا، وندعو المحكمين إلى أن يكونوا العين الفاحصة التي لا تتهاون في معايير الدقة والأصالة، ونتعهد نحن في هيئة التحرير بأن نواصل سعينا لتكون "مجلة جامعة المهرة للعلوم الإنسانية" منارة للمعرفة الموثوقة، ومنبرًا للبحث العلمي الرصين الذي يجمع بين عمق التحليل وشرف الكلمة وأمانة المنهج؛ فمسؤوليتنا جماعية، والارتقاء بالبحث العلمي في وطننا وأمتنا يبدأ من هنا: من إدراكنا العميق لقدسية الكلمة وثقل أمانة البحث.

كما ندعو الباحثين إلى مزيد من التواصل العلمي مع "مجلة جامعة المهرة للعلوم الإنسانية" فقد أصبحت مجلة رائدة بفضل كتاباتكم الرصينة واختياركم الصائب، ونعدكم في أسرة التحرير أن نظل حريصين على سمعة المجلة والسعي المستمر لرقيها وتألقها، ونسأل الله أن يجعلنا من الأمناء في القول والعمل، وأن يرزقنا الإخلاص في العلم والتعليم، وأن يوفق باحثينا وطلابنا وأساتذتنا لحمل رسالة المعرفة بأمانة وصدقٍ وإحسان.